خليل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

— فخر الفرزدق

مدح الفرزدق « والفرزدق سمح بألقاب المدح وصفات التقريظ ولكنه حاذق يمدح الرجل بما يليق أن يمدح به ، وينظر إلى خصائصه فيضفى عليها ثوباً من المبالغة[1] »

« ومدح الفرزدق لخلفاء بنى أمية فيه براعة ومقدرة يظهر عليها الطابع السياسى جلياً واضحاً أكثر من كل ما مدحهم به الشعراء حتى أخص أنصارهم كالأخطل وجرير وعدى بن الرقاع فهو داعية لهم ولسياستهم ، يجاهر بأنهم أجدر العرب بالملك ، وأن الله اختارهم لخلافته »

وقد روى الأستاذ طائفة صالحة من أقواله المدحية منها قوله :

وجدنا بنى مروان أوتاد ديننا ... كما الأرض أوتاد عليها جبالها

وقوله فى يزيد بن عبد الملك :

وما وجد الإسلام بعد محمد ... وأصحابه للدين مثلك راعيا

ضربت بسيف كان لاق محمد ... به أهل بدر عاقدين النواصيا

وقوله فيه ، وقد عدا الفرزدق طوره فى البيت الأول وكفر أو كاد :

لو لم يبشّر به عيسى ويتنـــه ... كنت النبى الذى يدعو إلى النور[2]

— فأنت إذ لم تكن إياه صاحبه ... مع الشهيدين والصديق فى السور[3]

(١) يعامله فى ذلك الحذق والنظر إلى خصائص الممدوح — المتنبى بعد أن برع

(٢) روى الأستاذ قوله فى هشام (وهو أحسن خطباً من قوله فى يزيد) :

ولو أرسل الروح الأمين إلى امرئ ... سوى الأنبياء المصطفين الأكارم

إذن لأتت كفى هشام رسالة ... من الله فيها منزلات المواسم

(٣) يريد بالسور أعلى مكان فى الجنة . والسور فى اللغة جمع سورة : وهى من البناء ما حسن وطال كما فى اللسان

٢٣ ٥ ١٣

فى غرف الجنة العليا التى جعلت ... لهم هناك بسعى كان مشكور

فلن تزال لكم والله أثبتها ... فيكم إلى نفخة الرحمن فى الصور

أبا فراس ! « لم يلبثوا إلا عشيّةً -أو- ضحاها »

مَن يأمن الدهرَ مُمساه ومصبَحه ... فى كل يوم له من معشر جزرُ

بعد ابن مروان أودى بعد مقدرة ... دانت لهيبتها الأمصار والكوَر

ثم الوليد فسل عنه منازله ... بالشام والشام مسئول له خضِر

تجبى إليه بلاد الله قاطبة ... أخلافُها ثرّة لأمره درَر

وفى سليمان آيات وموعظة ... وفى هشام لأهل العقل معتبر

واذكر أبا خالد ولى بهجته ... ريب المنون وولى قبله عمر

وفى الوليد أبى العباس موعظة ... لكل من ينفع التجريب والفكر

دانت له الأرض طراً وهى داخرة ... لا يدفع الذل من أقطارها قطر

بينا له الملك ما فى صفوه كدر ... إذ عاد رنقا وفيه الشوب والكدر

كانوا ملوكا يجرون الجيوش بما ... يقل فى جانبيه الشوك والشجر

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ... قفراً سوى الذكر والآثار إن ذكروا[1]

ويظن بعضهم أن لو استمر ملك القوم قرناً آخر لتعربت الدنيا ، وأحال[2] أهلها

يقول الأستاذ فى باب البحث عن شعر الفرزدق : « وإذا أردت أن تقف على الأسلوب العربى الصريح بجزالته وفخامته فاسمع قوله :

أحلّ هُزيم يوم بابل بالقنا ... تذور نساء من تميم فحلت[3]

فأصبحن لا يشرين نفساً بنفسه ... من الناس إن عنه المنية زلت

يكون أمام الخيل أول طاعن ... ويضرب أخراها إذا هى ولت

عشية لا يدرى يزيد أينتحى ... على السيف أم يعطى يداً حين شلّت

(١) عثمان بن الوليد بن عمارة بن عقبة القرشى يذكر فعل الدهر بملوك بنى أمية

(٢) فى النهاية : من أحال دخل الجنة أى أسلم يعنى أنه تحول من الكفر إلى الاسلام

(٣) فى رواية الطبعة المصرية هريم ، ومن أسمائهم هريم وهزيم

وأصبح كالشقراء تنحر إن مضت
وتضرب ساقاها إذا ما تولت[1]

لعمري لقد جلّى هزيم بسيفه وجوها علتها غبرة فتجللت
وقائلة كيف القتال ولو رأت هزيماً لدارت عينها واسمدرت[2]
وما كر إلا كان أول طاعن ولا غابنته الخيل إلا اشمأزت

ويزيد المذكور في هذا الشعر هو ابن المهلب ، وكان خلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه ، وقال له مشعبذون إنه سيلي الأمر ويهدم دمشق ...

يخبرك الكهان أنك ناقض
دمشق التي كانت إذا الحرب حرّكت[3]

ولما واقعه جيش مسلمة في العقر[4] عقر بابل ضرب هزيم ابن أبي طحمة المجاشعي يد يزيد فقطعها[5]، وقتله القحل بن عياش وضرب يزيد القحل فأثنا جميعاً . قال الطبري : « انفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القحل بآخر رمق ، فأومأ إلى أصحابه برأسه مكان يزيد يقول لهم أنا قتلته ويومىء إلى نفسه أنه هو قتلني »

وفي هذه الوقعة يقول الفرزدق :

كيف ترى بطشة الله التي بطشت
بابن المهلب إن الله ذو نقم
كم فرج الله عنا كرب مظلمة
بسيف مسلمة الضراب للبُهَم

ولما ثار يزيد كان الحسن البصري يثبط الناس عنه ، قال يوماً في مجلسه : يا عجبا لفاسق من الفاسقين ، ومارق من المارقين غير برهة من دهره ينتهك لله في هؤلاء القوم كل حرمة ، ويركب لهم كل معصية ، ويأكل ما أكلوا ، ويقتل من قتلوا حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال : أنا لله غضبان فاغضبوا ، ونصب قصباً عليها خرق وتبعه رجرجة[1] رعاع هباء ما لهم أفئدة ، وقال أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز . فبلغ ذلك يزيد ، فأتى الحسن هو وبعض بني عمه إلى حلقته في المسجد متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به ، وصار الناس ينظرون إليهم فلاحاه يزيد ، فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحسن : فما أنت وذاك يا ابن اللخناء ، فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد : ما تصنع؟ قال : أقتله ، فقال له يزيد : أغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا[2]

يقول الأستاذ : « ومدح الفرزدق في جملته من أبواب شعره الجيدة ، ومن أحسنه قوله :

إني أرى يزيد عنـــد شبابه لبس التقى ومهابة الجبـــار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار[3]

وروى له من هذا الجيد غير ذلك

* * *

رثى الفرزدق و « رثاء الفرزدق قليل ، وهو إذا قيس ببقية أبواب شعره يقع مقصراً ، وما قاله عن اضطرار أو عن خوف يتم[4] على قوة ومقدرة كرثائه للحجاج وأخيه وابنه »

يقول في الحجاج :

ليبك على الحجاج من كان باكياً
على الدين أو شار على الثمر واقف[5]!

(١) في مجمع الأمثال : « كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر . قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول : أشقر إن تقدم تنحر ، وإن تتأخر تعقر : يقول لفرسه : يا أشقر ، إن جريت على طبيك تقدمت إلى العدو قتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك ، فاثبت والزم الوقار ، واقف عني وعنك العار . يضرب المثل لما يكره من وجهين » فالفرزدق يشير إلى هذا الخبر ، وأراد أن يقول الأشقر قال الشقراء

(٢) البهادير ضعف البصر وقد اسمدر بصره (اللسان)

(٣) الفرزدق من قصيدته في هريم

(٤) العقر عند الكوفة بالقرب من كربلاء

(٥) كما يدل على ذلك قول الفرزدق فيه

(١) الرجرجة هي بقية في الحوض كدرة كثيرة تترجرج شبه بها الرذال من الاتباع (الفائق)

(٢) ابن خلكان ، وفي الطبري الجزء (٨) الصفحة (١٥٣) قول له في التثبيط والنصح

(٣) الشعر في يزيد بن المهلب . وفي (وفيات الأعيان) : لما حمل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه ، فقال له : مه ، إن يزيد طلب حسيا ، وركب عظيما ، ومات كريماً

(٤) في الأساس : من المجاز : تمت على الملك رائحته

(٥) الشاري هنا المجاهد في سبيل الله لا الشاري الخارجي . . .

وأيتامُ سوداء الذراعين لم يدع ... له الدهر مالاً بالسنين الجوالف !
ومهبلة لما أتاها نعيه ... أراحت عليها مهملات التنائف
فقالت لعبديها : أريحا فعقّلا ... فقد مات راعي ذودنا بالطرائف !
ومات الذي يرعى على الناس دينهم ... ويضرب بالهندي رأس المخالف !
يقولون لما أن أتاهم نعيه ... وهم من وراء النهر جيشُ الروادف[1]
شقينا وماتت قوة الجيش والذي ... به تربط الأحشاء عند المخاوف !
له أشرقت أرض العراق لنوره ... وأومن إلا ذنبه كل خائف

ومقصدات الفرزدق ومقطعاته في هذا الباب تخبر بأنه يجيد حين يريد . ومن صالح رثائه أبياته في بشر بن مروان ، وختامها :

وكنا ببشر قد أمنّا عـــدونا ... من الخوف واستغنى الفقير عن الفقر

وقد ذكر فيها أنه عقر فرسه على قبره ، وقال غير أبي عبيدة : ادعى أنه عقر فرسه ولم يعقره ...

يقول الأستاذ : « يدل على تخلفه في هذا الباب أنه لما ماتت النوار لم يفتح عليه بما يصح أن يناح به عليها ... » وقال بشار : « كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير »

وقول الأستاذ المردى فيه شيء من الحق ، وقول بشار معه البُطل . وإذا كان الفرزدق لم يحل عليه شيطانه شيئاً حين هلكت مطلقته النوار التي أشقى صلاحُها طلاحَه الدهرَ الأطول ... فهل يدل ذلك على أن لجرير ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق ؟ وهل الشعر رثاء وبكاء ؟ على أنا إذا جمعنا مراثي الخبيثين — ولجرير اثنتان وعشرون قصيدة ومقطعة ، وللفرزدق خمسة وعشرون قصيدة ومقطعة — ووازنا بينها موازنة المقسطين ، لم نر جريراً شأى صاحبه إلا برقته في مراثيه لا ببراعة معانيه ، والأمر يؤول إلى لين العريكة وقساوة الخليقة . ثم إنه من قلة الإنصاف ألا ترى الرثاء إلا في أن يذكر الشاعر وجوهاً خمشت ، وخدوداً لطمت ، وشعوراً نفشت ، وجيوباً شقت ، ودموعاً همرت ، والتياعاً وارتماضاً وأنيناً . . .

إن للشعراء في الرثاء والهجاء والثناء لمجالاً في المقال ، وإن البارعين هم المجتهدون المتفننون لا المقلدون المتعقبون ...

يقول الأستاذ : « على أن له في رثاء بعض بنيه شعراً يدل على أن الشجى خالط نفسه ، وألان عاطفته فنفث حرقة صادقة تشجي السامع كقوله :

بني أصابهم قدر المنايا ... فهل منهن من أحد مجيري !
ولو كانوا بني جبل فماتوا ... لأصبح وهو مختشع الصخور !
إذا حنت نوار تهيج مني ... حرارة مثل ملتهب السعير !
حنين الواجدين إذا ذكرنا ... فؤادينا اللذين مع القبور !

وروى الأستاذ للفرزدق في وكيع بن أبي سود العدائي :

فلو أن ميتاً لا يموت لعزه ... على قومه مامات صاحب ذا القبر

ودفن ابناً له فالتفت إلى الناس فقال :

ما نحن إلا مثلهم غير أننا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

(يتبع — الاسكندرية)

***

(١) جيش : في رفعه أربعة أوجه : أحدها أن يكون بدلا من الواو في يقولون ، والثاني أن يكون فاعلا والواو حرف للجمع لا اسم ، ويجوز نصبه على إضمار أعني ، ومثل قول الفرزدق هذا في العربية أكثر من الكثير

ليس السن دلالة على الشيخوخة

لا يفهم قيمة الثوم وفعله العجيب في إطالة العمر وسن الشباب إلا من ابتدأت الشيخوخة تلعب دورها في حياته . أما ظواهر الشيخوخة فليست الشعر الأبيض ولا السن ولا ارتخاء الجلد بل اختلال الدورة الدموية . وهذه ينتج عنها تصلب الشرايين وضغط الدم العالي والروماتزم والانتفاخات الشرايينية والعروق وانحلال القوى الجنسية وغيرها . ولا حاجة للتأكيد بأن جميع الذين تعاطوا بحبوب اكس آي — روح الثوم الطبيعي — بلا رائحة ولا طعم ، دهشتهم النتائج السريعة والفوائد الباهرة فرجعوا أن قواهم وشبابهم تجددت إلى درجة محسوسة وأصبحوا قادرين على أتمام واجباتهم الزوجية وسعادتهم البيتية كما لو كانوا في سن العشرين.

ان اكس آي ينظم عمل الجسم والنجام وظائف اعضاءه . وينشطها ويولد الحيوية فيها . حبوب اكس آي هذه سهلة التعاطي زهيدة الثمن وهي المحرك الكهربائي الطبيعي للجسم الانساني وعلاوة على أنها تطهر الدم وتنقيه فانها تشد العصب وتحيي النشاط والحيوية في جميع الأعضاء لاسيما الجنسية . جميع الهيئات الطبية في العالم مجمعة على منافع حبوب اكس آي وتصفها بلا استثناء وطبيبك الخاص لا يستطيع إلا المصادقة عليها . تباع في الأجزخانات ومخازن الأدوية